مقاماتُ العَتْبِ

(رسالةٌ في أدبِ العتابِ ومراتبِ معالجتِه)

للشيخ

ناصرِ بنِ حمدِ بنِ حميِّنٍ الفهدِ

أحسنَ اللهُ خلاصَه

أخرجَها:

مصعبُ بنُ ناصرِ بنِ حمدٍ الفهدُ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيْمِ

تقديمٌ:

الحمدُ للهِ، والصلاةُ والسلامُ على رسولِه محمدٍ، وعلى آلِه وصحبِه، أما بعدُ:

فقد وجدتُ في أوراقِ والدي ناصرِ بنِ حمدٍ الفهدِ رسالةً إلى صاحبٍ له كتبَها سنةَ ١٤٢٠ في مَوْجِدةٍ جرتْ بينَهما، ولمَّا قرأتُها وجدتُها نافعةً في كثيرٍ ممَّا يجري بينَ المسلمينَ من عتْبٍ وخصومةٍ، وفيها بيانٌ كافٍ -إن شاءَ اللهُ- لمراتبِ معالجةِ النزاعِ وسبلِها، فرأيتُ إخراجَها؛ لعلَّ اللهَ ينفعُ بها مُتخاصمَينِ ويرفعُ ضغائنَ صدورِهما.

واستأذنتُ الوالدَ في نشرِها، فأذنَ، واشترطَ لذلك أن أحذفَ الأسماءَ الواردةَ فيها.

هذا، واللهَ أسألُ أن ينفعَ بها، ويصلحَ ذاتَ بينِنا، ويؤلِّفَ قلوبَنا، ويجمعَنا على شِرْعةٍ سواءٍ وطريقٍ مستقيمٍ. وأسألُه سبحانَه أن يقبلَ من كاتبِها، ويثبِّتَه، ويحسنَ خلاصَه... آمين.

مصعبُ بنُ ناصرٍ الفهدُ

الجمعةَ، ١٦/جمادى الآخرة/١٤٣٤

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيْمِ

من ناصرِ بنِ حمدٍ الفهدِ إلى صاحبِ الفضيلةِ الأخِ الشيخِ (........) حفظَه اللهُ تعالى، سلامٌ عليكم ورحمةُ الله وبركاتُه، أما بعدُ:

فقد بلغتْني مَوْجِدتُك عليَّ، ووقيعتُك فيَّ، وقرضُك لعرضي في عددٍ من مجالسِك، حتى إنه ذُكِرَ لي أنك إذا تحدثتَ عني تكادُ تميَّزُ من الغيظِ، والذينَ بلَّغوني هذا لم يأتوا به من بابِ (النميمةِ) –حاشاهم– بل من بابِ (إبلاغِ الرسالةِ) التي طلبتَ منهم إيصالَها إليَّ.

ثمَّ إنك –غفرَ اللهُ لك– لم تكتفِ بهذا، بل جاوزتَه إلى مساندةِ الحملةِ التي شنَّها عليَّ بعضُ الصحفيينَ من أهلِ الجهلِ والظلمِ في (منتدياتِ الأنترنتِّ) والتي استمرَّتْ وقتًا طويلًا؛ رمَوني فيها بشتَّى التهمِ، وقذفوني بكلِّ سوءٍ، وحاولوا الإيقاعَ بي وإيصالَ الضررِ إليَّ بما يقدرونَ عليه، وكنتَ –هداك اللهُ– المصدرَ الرئيسَ لما يُنشَرُ عني، فأصبحتَ تشحذُ ذهنَك، وتعصرُ ذاكرتَك؛ لعلَّك تظفرُ بشيءٍ يضرُّني نشرُه من الأحاديثِ الخاصةِ التي كنتُ أسامرُك بها –أيامَ الصحبةِ– في المجالسِ (والمجالسُ بالأماناتِ)، ولا تقلْ: هذا ظنٌّ؛ فقد اعترفَ صاحبُك الذي تولَّى كِبْرَ هذه الحملةِ بمساندتِك له، ولا حاجةَ لي في اعترافِه؛ فقد ذكروا أشياءَ لم أتحدَّثْ بها معَ أحدٍ من الخلقِ سواك.

وهذا الأمرُ –واللهِ– عارٌ ولؤمٌ يتنزَّهُ عنه أهلُ المروءةِ من الكفارِ والفسَّاقِ معَ خصومِهم فضلًا عمَّن ينتسبُ إلى العلمِ، ويتصدرُ لإرشادِ الناسِ.

وعلامَ هذا كلُّه ؟!

على ذنبٍ لا أدري –واللهِ– ماهو ؟!

وغايةُ ما بلغَني أنَّك تقولُ: إنَّ مناصحةَ (.....) ومناقشتَه لك في بعضِ المسائلِ في بيتي كانتْ باتفاقٍ مسبقٍ معي !!

سبحانَ اللهِ وبحمدِه !

هبِ الأمرَ كذلك، فهل هذا ذنبٌ ؟!

أشادَ صرحًا على هَيَالٍ بلا أساسٍ يقيمُ هذا

فخـطّـــؤوهُ، فقــابلوهُ فناصحوهُ، فكانَ ماذا ؟!

اللهمَّ غَفْرًا !

أأنتَ في مقامِ من ﴿**لا يُسأَلُ عمَّا يفعلُ وهم يُسألونَ**﴾ ؟

أم في مقامِ الملائكةِ الذينَ لا يعصونَ اللهَ ما أمرَهم، ويفعلونَ ما يُؤمرونَ ؟

أم في مقامِ الأنبياءِ الذينَ لا يقرّونَ على خطأٍ ؟

أم في مقامِ أهلِ بدرٍ الذينَ اطَّلعَ اللهُ عليهم، وقالَ: (**اعملوا ما شئتُم؛ فقد غفرتُ لكم**) ؟!

لِيصنعِ الركبُ ما شاؤوا لأنفسِهم هم أهلُ بدرٍ، فلا يخشونَ من حرجِ

أم ماذا ؟!

هبِ الأمرَ كانَ كذلك، فأينَ الخطأُ ؟

ولولا أنني لا أريدُ أن أخالفَك إلى ما أنهاكَ عنه لأخبرتُك بالدافعِ وراءَ هذا كلِّه، ولكنَّني لا أذكرُه؛ لأنه ظنٌّ و(**بعضُ الظنِّ إثمٌ**).

فأردتُ بهذه الرسالةِ أن أبيِّنَ لك أن علمَك الذي تدَّعيه والذي جعلَك تشمخُ بأنفِك؛ فتعدُّ النصيحةَ انتهاكًا لحرمتِك واحتراقًا لحماك = لم ينفعْك في هذه المسألةِ، وأنك جاوزتَ كلَّ حدودِ الشرعِ فيما وقعَ بينَنا، فقد كانَ أمامَك –شرعًا– أحدُ المقاماتِ الآتيةِ:

المقامُ الأولُ: أنَّ كلَّ ما قامَ في ذهنِك من أوهامٍ ووساوسَ بشأنِ ما حصلَ هو من بابِ اتِّباعِ الظنِّ والدخولِ في النياتِ، ولا تستطيعُ أن تأتيَ بدليلٍ واحدٍ مقبولٍ شرعًا على ما تدَّعيه، وقد قالَ اللهُ تعالى: ﴿**يا أَيُّها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرًا من الظنِّ إنَّ بعضَ الظنِّ**

إثمٌ﴾، وفي الصحيحينِ عن أبي هريرةَ رضي اللهُ عنه أن النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قالَ: (**إياكم والظنَّ؛ فإنَّ الظنَّ أكذبُ الحديثِ**).

فإن لم تقنَعْ بهذا المقامِ فجاوزْه إلى:

المقامِ الثاني: فهبِ الأمرَ كانَ صحيحًا، فقد رأيتُك مخطئًا في أمورٍ، وأردتُ مناصحتَك، وقد أصبتُ في الأمرينِ، أما في المسائلِ محلِّ النصحِ فيطولُ تقريرُ ذلك، وأما النصيحةُ فلا أظنُّه يخفى عليك ما ثبتَ في مسلمٍ عن تميمٍ رضيَ اللهُ عنه أنَّ النبيَّ صلى اللهُ عليه وسلمَ قالَ: (**الدينُ النصيحةُ**)، والأدلةُ في هذا معروفةٌ، ولا تجهلُها.

فأيُّ ذنبٍ في هذا ؟!

ولو كانَ قلبُك حيًّا لأجبتني إلى هذا الأمرِ، وزادني قربًا منك؛ فصديقُك من صَدَقَك، وصاحبُك من أهدى إليك عيوبَك.

فإن لم تقنَعْ بهذا المقامِ فجاوزْه إلى:

المقامِ الثالثِ: فهبْ أنني أخطأتُ في المسائلِ محلِّ الخلافِ أو في طريقةِ النصحِ والنقاشِ، أو أخطأتُ في الأمرينِ جميعًا، فقد اجتهدتُ، وما أردتُ فيما فعلتُه إلا الخيرَ، و(**إذا حكمَ الحاكمُ، فاجتهدَ، ثمَّ أصابَ فله أجرانِ، وإذا حكمَ فاجتهدَ ثمَّ أخطأَ فله أجرٌ**) كما ثبتَ في الصحيحينِ، وقد كانَ الحديثُ معَك في مكانٍ مغلقٍ ليسَ فيه أحدٌ، وكانَ (.....) في حديثِه معَك في غايةِ الأدبِ؛ فلم يرفعْ عليك صوتًا، ولم يجرحْك بكلمةٍ، وكانَ موقِّرًا لك في حديثِه كلِّه الذي لم يتجاوزْ (ربعَ ساعةٍ) (!).

فما الذي جعلَك تثورُ هذه الثورةَ ؟!

فإن لم تقنعْ بهذا المقامِ فجاوزْه إلى:

المقامِ الرابعِ: فهبْ أنني في جميعِ ما حصلَ لم أردِ الخيرَ، بل ما أردتُ به إلا الإساءةَ إليك، فهذه سيئةٌ، وهي السيئةُ الوحيدةُ التي وقعتْ مني معَك، وقد كانَ لي قبلَ ذلك من الحسناتِ الكثيرةِ التي أسديتُها إليك ما لا تقدرُ على إنكارِه؛ فشواهدُه قائمةٌ، فادفعْ هذه السيئةَ بتلك الحسناتِ، ولا تكُنْ كالوعيديَّةِ من الخوارجِ والمتعزلةِ الذين يحبطونَ الحسناتِ العظيمةَ بالسيئةِ الواحدةِ، أو كناقصاتِ العقلِ والدينِ اللاتي لو أحسنتَ إلى إحداهنَّ الدهرَ كلَّه، ثمَّ رأت منك شيئًا قالتْ: ما رأيتُ منك خيرًا قطُّ.

وكلُّ ابنِ آدمَ خطَّاءٌ.

والذي يطلبُ صاحبًا لا يخطئُ (**متطلبٌ في الماءِ جذوةَ نارٍ**)، وقد قال الشاعرُ:

ولستَ بمُستبقٍ أخًا لا تَلُمُّهُ على شَعَثٍ؛ أيُّ الرجالِ المهذّبُ ؟

وقالَ الآخرُ:

إذا أنتَ لم تشربْ مِرارًا على القذى ظمئتَ، وأيُّ الناسِ تصفو مشاربُه ؟

وقالَ الآخرُ:

ومَنْ لم يغمِّضْ عينَه عن صديقِه وعن بعضِ ما فيه، يمُتْ وهْو عاتبُ

ومن يتتبَّعْ جاهدًا كلَّ عثرةٍ يجدْها، ولا يسلمْ له الدهرَ صاحبُ

فإن لم تقنَعْ بهذا المقامِ فجاوزْه إلى:

المقامِ الخامسِ: فهبْ أنه لم تكُنْ لي حسناتٌ تشفعُ لهذه السئيةِ، أو كانتْ هذه السيئةُ من العظمِ بحيثُ أحرقتْ تلك الحسناتِ، فليسعْني –عندَها– حلمُك وعفوُك وصفحُك، وأنت ممَّن يدعو إلى حسنِ الخُلُقِ، ومن حسنِ الخلقِ أن تعفوَ عمَّن ظلمَك، وقد قالَ اللهُ تعالى: ﴿**ومن عفا وأصلحَ فأجرُه على اللهِ**﴾، وقال تعالى: ﴿**ولمَن صبرَ وغفرَ إن ذلك لمن عزمِ الأمورِ**﴾، وكما ثبتَ في مسلمٍ عن النبيِّ صلى اللهُ عليه وسلمَ: (**وما زادَ اللهُ عبدًا بعفوٍ إلا عزًّا**)؛ فكانَ يحسُنُ بك أن تتغافلَ عمَّا حدثَ تكرُّمًا، كما قالَ بعضُ السلفِ: (**لم يزلِ التغافلُ من طبعِ الكرامِ**)، وكما قالَ الشاعرُ:

وأعرِضُ عن ذي الذنبِ حتَّى كأنني جهلتُ الذي يأتي، ولستُ بجاهلِ

فإن لم تقنعْ بهذا المقامِ فجاوزْه إلى:

المقامِ السادسِ: فهبْ أنَّ صدرَك لا يتَّسعُ للعفو، ولا ترى وجهًا للتغافل، فهلَّا راسلتَني وأخبرتَني بذنبي وعَتْبِك ومَوْجِدتِك عليَّ، كما قالَ بعضُ السلفِ: (**لا يهجرْ أحدُكم أخاه حتَّى يستعتبَه**)، فلعلِّي أشرحُ لك الأمرَ بما يُزيلُ ما في صدرِك، أو أعتذرُ إليك فتصفوَ المودَّةُ بينَنا فتكونَ بهذا قد قطعتَ الوسواس، وأطفأتَ الفتنةَ، وأرضيتَ الرحمنَ، وأخزيتَ الشيطانَ.

فإن لم تقنعْ بهذا المقامِ فجاوزْه إلى:

المقامِ السابعِ: فهبْ أنك لا تراني أهلًا لمراسلتي بعدَ ما حدثَ، فهجرٌ جميلٌ، وهو الذي لا أذى فيه، واجعلني من الجاهلينَ، وخُذْ نفسَك بقولِه تعالى: ﴿**وإذا خاطبَهم الجاهلونَ قالوا سلامًا**﴾، فهم يعرضونَ عن الجاهلينَ، ولا يقابلونَهم بمثلِ ما يفعلونَه، وامتثلْ في ذلك وصيةَ المصطفى صلى اللهُ عليه وسلمَ كما ثبتَ عنه في السننِ: (**وإنِ امرؤٌ شتمَك وعيَّرَك بما يعلمُ فيك فلا تعيِّرْه بما تعلمُ فيه، فإنما وبالُ ذلك عليه**).

فإن لم تقنعْ بهذا المقامِ فجاوزْه إلى:

المقامِ الثامنِ –وهو الأخيرُ–: فهبْ أنَّ نفسَك أبَتْ عليك إلا العقوبةَ والانتقامَ، فقد قالَ اللهُ تعالى: ﴿**وجزاءُ سيئةٍ سيئةٌ مثلُها**﴾، وقالَ: ﴿**فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثلِ ما اعتدى عليكم**﴾، وقال: ﴿**وإن عاقبتم فعاقبوا بمثلِ ما عوقبْتُم به**﴾، فانظر إلى سيئتي، واقتصَّ مني بقدرِها فقطْ، ولا تتجاوزْ؛ فإنه لا يحلُّ لك.

فانظرْ يا رعاك اللهُ إلى هذه المقاماتِ الثمانيةِ، ثم انظرْ إلى آخرِ مقامٍ منها الذي لن تصلَه –لو أنصفتَ–، ولو وصلتَه لن تصلَه إلا بشقِّ الأنفسِ، ثم انظرْ إلى ما قابلتَني به من تجريحٍ وتشهيرٍ في المجالسِ ومنتدياتِ الأنترنتِّ مدةً طويلةً من أجلِ نقاشٍ ونصيحةٍ وُجِّهَتْ إليكَ لدقائقَ معدودةٍ في مكانٍ مغلقٍ.

فما الذي أجازَ لك هذا وأنتَ تنتسبُ إلى العلمِ وإرشادِ الناسِ؟

وغيرُ تقيٍّ يأمرُ الناسَ بالتُّقى طبيبٌ يداوي والطبيبُ عليلُ

واعلمْ –أخي الكريمَ– أنني لا آسى عليك؛ فمن باعَ صاحبَه بمثلِ هذا الثمنِ البخسِ ليسَ بأهلٍ أن يُحزَنَ عليه، ولكني آسى على ما بلغتْ إليه أخلاقُ بعضِ طلبةِ العلمِ ممَّن تجدُهم يحرصونَ على الالتزامِ بالشرعِ في هدْيِهم الظاهرِ إلا أنَّ قلوبَهم مليئةٌ بالأمراضِ من

الكِبْرِ والعُجْبِ وحبِّ الرئاسةِ والشهرةِ والحسدِ وغيرِها، ومستقِلٌّ ومستكثرٌ ﴿**وما أبرِّئُ نفسي إن النفسَ لأمَّارةٌ بالسوءِ إلا ما رحمَ ربِّي**﴾، أسألُ اللهَ أن يطهِّرَ قلوبَنا ويخلِّصَ نيَّاتِنا ويصحِّحَ أعمالَنا.

وأخيرًا؛ فلا يمنعنَّك من قبولِ ما في رسالتي هذه من الحقِّ ما تجدُه في نفسِك عليَّ؛ فإنَّ الحقَّ يُقبَلُ ممَّن أتى به ولو كان الشيطانَ (**صدقَك وهو كذوبٌ**).

ولعلَّك تخاطبُ نفسَك هاهنا وتقولُ: ﴿أتأمرونَ الناسَ بالبرِّ وتنسونَ أنفسَكم﴾ ؟

يا أيُّها الرجلُ المعلِّمُ غيرَه　　　هلَّا لنفسِك كانَ ذا التعليمُ ؟

وأنتَ يا صاحبَ الرسالةِ، لماذا لا تخاطبُ نفسَك بهذه المقاماتِ؟

فأقولُ في الجوابِ: قد فعلتُ-واللهِ-، أما المقاماتُ الأربعةُ فلستَ منها بسبيلٍ؛ فالأمرُ يقينٌ كالشمسِ في وضحِ النهارِ، والأدلةُ عليه كثيرةٌ، ولا يمكنُ لعاقلٍ أن يدَّعيَ أن ما فعلتَه معي من التجريحِ والتشهيرِ هو من النصحِ وإرادةِ الخيرِ، ولم يسبقْ لك معي من الحسناتِ ما يشفعُ لسيئتِك هذه، لذلك سآخذُ لك من نفسي بالمقامِ الخامسِ، وهو (العفْوُ)، فأنتَ في حلٍّ ممَّا فعلتَه معي، وأسألُ اللهَ أن يغفرَ لك، ولن أطالبَك بشيءٍ لا في الدنيا ولا في الآخرةِ إن شاءَ اللهُ، ولا يسرُّني -واللهِ- أن يؤاخذَ مسلمٌ بسببي-ولو كانَ ظالمًا-، ولكن يجبُ أن تعلمَ أنك جرحتَني بفعلِك جرحًا لا أظنُّ أثرَه سيذهبُ على مرِّ الزمنِ.

أسألُ اللهَ سبحانَه أن يسللَ سخائمَ صدورِنا، وأن يؤلِّفَ بينَ قلوبِنا، وأن يُعيذَنا من نزغاتِ الشيطانِ، وأن يهديَنا إلى صراطِه المستقيمِ.

والسلامُ عليكم ورحمةُ الله وبركاتُه.